OуЭ ЖКÆЄ О Ѽ OуЭ к Ā ЖЎ Ѽ Э ґ OуЖ•е Ѽ OуЭ OуЖЎ к •е О к

ملامح التّأصيل القرآني لعلم أصول الحديث

أ. حسّان موهوبي
جامعة الأمير عبد القادر

يُعدّ القرآن الكريم أصل المعارف الإسلاميّة، منه تستمدّ معارفَها ومناهجها وبناءها في الجملة.

والباحث في القواعد الكلية التي هي أصل في معرفة حال الجزئيّات من مسـ ل علـم الحديث رواية، يجد علم أصول الحديث ما فتئ يستحكم بمنها- " ك عن معالمه الرّاشدة على الرّغم من سمة الاجتهاد المـ ـل المحدّثين وممارساتهم النّقديّة.

فالاقتبا ن الحديث واضح جدّا عند ر ومصطلحاته؛ حيث أفاد علماء الحديث ونقّاده ر به لعلم الحديث رواية ودراية، فأطلقوا المصطلحات العلميّة، و ـهيم المنهجيّة لهذا الاختصاص على وفق المنهاج القرآني الرّشيد ومعانيه الشّرعيّة.

ولا شكّ أنّ نشأة علوم الحديث كانت ببدء الوحي على النّبيّ ﷺ، وأنّ بزوغ نور السّـنّة كان مع كلمة القرآن الأولى منذ الوهلة التي بُعث فيها -عليه الصّلاة والسّلام-، حيث نشـأ أوّل ما نشأ من علم الحديث علم الرّواية.

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأوّل رواية في هذا العلم سماع ورواية السّيّدة خديجة أمّ المؤمنين –رضي الله عنها– لحديث بدء الوحي، وقصّة مجيء جبرائيل ﷺ بأوّل سورة "اقرأ" إلى النّبيّ ﷺ في غار حراء، فهو أوّل حديث من وحي السّنّة، وأوّل ما نشأ من علومها.

هكذا بدأت نشأة علوم الحديث منذ فجر الإسلام، واهتمّت بذلك نصوص القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهّرة، قال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولا سديدا يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما**﴾[1].

و إذا كان الله –ﷻ– قد تكفّل بحفظ كتابه المجيد، فإنّ من مقتضيات هذا التّكفّل حفظ السّنّة أيضا؛ لأنّ تعهّده بحفظ الكتاب يستلزم التّكفّل بحفظ بيانه وهو السّنّة؛ إذ المقصود بقاء الحجّة قائمة، والهداية باقية بحيث ينالها من يطلبها؛ لأنّ محمّدا ﷺ خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشّرائع، وهو ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿**ثمّ إنّ علينا بيانه**﴾[2].

هذا، وقد تحدّى المسلمون أسئلة شتّى استفسرت عن تحقيق حفظ السّنّة النّبويّة، أو استشكلت سلامة نقل الحديث النّبوي وصيانته من التّغيير والتّبديل، في الوقت الذي خلا فيه الجوّ العلمي، والتّراث الدّيني لدى الأمم الأخرى عن أيّ تأصيل وثروة، أو أثارة من طريق يكفل صحّة المرويّات الدّينيّة والتّاريخيّة...

ففي غياب ما يمكن أن يفيد منه النّاس قديما منذ عهد ما بعد الرّسول ﷺ لنقل السّنّة والتّراث نقلا صحيحا من قواعد وقوانين لدى الأمم السّابقة، تحدى الرّعيل الأوّل من أهل الإسلام وتابعوهم من العلماء عقبات الفراغ العلمي بتأسيسهم لسابقة يؤتسى بها في مجال التّوثيق والاستيثاق، أو بما يُسمّى بالتّعبير المعاصر " مبادئ البحث العلمي "، فكانت المهمّة الكبرى التي أنيطت بالمتقدّمين ومن لحق بهم في النّهج من أهل الحديث والسّنّة المشرّفة،

1- الأحزاب: 70.
2- القيامة: 19

OуЭ ЖКÆÇ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э ґ OуЖ•е Ѿ OуЭ OуЖЎ к •е О к

وسجّلها التّاريخ لهم من أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم –أن قاموا بواجب المحافظة؛ فأدّوا الحديث النّبوي عنه ﷺ أداء سليما حقّق الغايات، وبلغ المقاصد، وعلى وفق قواعد وقوانين صارمة، حفظت للسّلسلة الحديثيّة المتّصلة إلى مخرجها قوّتها ونقاءها في كنف العدالة للرّواة وضبطهم وإتقانهم، واحترزت بذلك عن شذوذ العلم وغرائب الأخبار، وعن كلّ ما يسيء للطّريق المرويّ، أو إلى المتن النّبوي الشّريف من العلل والقوادح.

و لا غرو في ذلك؛ إذْ كان السّرّ كلّ السّرّ هو ذلك الإسلام الذي حلّ المعضلة بما اشتمل عليه من عوامل الحفظ الذّاتيّة الظّاهرة والباطنة التي خصّه الله تعالى بها، وأودعها القرآن الكريم، وحيث قرّرت نصوص الكتاب المجيد الأصول الموضوعيّة والشّرعيّة الـ[illegible] منارة لصيانة الرّواية الحديثيّة، ورسّخت المنهاج الأفضل لأداء الحديـ[illegible]ث أوجبت البحث في الرّاوي، وحتّمت التّثبّت في [illegible]ه، والتّمحيص لصفة النّقل بالدّلا[illegible] من قبلُ ومن بعدُ، و[illegible] مسؤوليّة الدّين أن يُفرّط [illegible] فطرة خَلقيّة جُبل عليها الإنسان لولا عون الله [illegible] عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾[1].

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأمانة [illegible]نقل والقبول

فاستحثاثا على الأمانة مثلا، نجد الإسلام يحرّم الكِذبة بشتّى أشكالها وأنواعها، وعلى سبيل التّشديد والزّجر والتّنفير، تغليظا لحرمة الكذبة، واحترازا من صفات غير المسلمين، قال تعالى: ﴿**إنّما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾[2]، وقال أيضا: ﴿**قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير حقّ وأن تشركوا بالله ما لم يـنزّل**

1- طه: 155.
2- النّحل: 105.

به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾[1]، وقال: ﴿فمن أظلم ممّن كذب على الله﴾[2]، وقال: ﴿و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[3]، وقال: ﴿و تصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنى ﴾[4]، وقال: ﴿إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾[5]، وقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا ﴾[6] ...

و كان أن انتهج السّلف من أهل الحديث هذا المنهاج القرآني عند التّقعيد لرواية الحديث وعلومها؛ فلم يأخذوا الحديث النّبوي عن الرّجال إلاّ بعد أن يكون الرّاوي فيهم ثقة عندهم في نفسه، عدلا في حديثه، ...

نتبيّن هذا من خلال التّحديد الذي سنورد نصّه –على سبيل المثال– للصّفات المانعة من الأخذ عن أربعة أصناف من النّاس، رغم اكتفاء هذا النّصّ بذكر المتروكين، وبحصر خصائصهم المخلّة بأمر الدّين والأخلاق العامّة بين النّاس.

و النّصّ هو من قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس[7] –رحمه الله تعالى– الذي يقول:

«لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ ممّن سوى ذلك؛

1–لا يؤخذ من سفيه معلن بالسّفه – يكذب على رسول الله – وإن كان أروى النّاس،

2–ولا يؤخذ من كذّاب يكذب في أحاديث النّاس –إذا جُرّب ذلك عليه– وإن كان لا يُتّهم أن يكذب على رسول الله،

1– الأعراف: 33.
2– الزّمر: 32.
3– آل عمران: 75.
4– النّحل: 62.
5– النّحل: 116.
6– الكهف: 05.
7– يرد هذا النّصّ بسياقات مختصرة أحيانا، وقد جمعنا بعضها على بعض من كلّ من: المحدّث الفاصل: 403 فقرة 418، والكفاية: 189، والتّمهيد: 66/1، وجامع بيان العلم وفضله: 48/2، والإلماع: 60.

OуЭ ЖКÆЄ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э ґ OуЖ•е Ѿ OуЭ OуЖЎ к •е О к

3-ولا من صاحب هوى يدعو النّاس إلى هواه.

4-ولا من شيخ -أو رجل- له فضل أو صلاح وعبادة، إذا كان لا يعرف ما يحمل ومما يحدّث».

و الذي يلوح بعد التّأمّل، أنّ عمدة النّقد والتّمحيص للرّجال في الحديث النّبوي أمران متلازمان هما:

الأوّل: العدالة المعروفة المنافية لكلّ محارم.

الثّاني: الضّبط المقترن -عند التّلقّي والأداء- بالعلم والفهم.

و كأنّه لا يُفصل بين المقبول من الرّواة وبين المتروك منهم إلاّ بفحص [illegible] يارين، ناهيك عن الكافر، سواء عُلم من دينه الاحتراز عن الكذ[illegible] سلمين وعداوته لهم في الدّين قد تحمله على الك[illegible] : «لا **يألونكم خبالا**»[1] - أ[illegible]

[illegible] سيرة السّنّة النّبويّة المنقولة والمدو[illegible] يل وكتب التّراجم والرّجال الّتي احتوت أحوال[illegible] واحدا روى السّنن النّبويّة للمسلمين وهو كافر[3].

فهكذا كانت الأمانة وكان التّثبّت في كلّ الأحوال أصلا عظيما من أصول علم الحديث، وقد قال تعالى: «**ولا تقف ما ليس لك به علم**»[4] - أي: تجنّب ما لم يُعلم صحّته

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- آل عمران: 118.

2- وانظر التّفاصيل في: توضيح الأفكار 115/2، ومقدّمة ابن الصّلاح 94، ومعرفة علوم الحديث 92. وتدريب الرّاوي 197/1، والكفاية 135، والباعث الحثيث 92.

3- إلاّ ما كان من بعض الصّحابة الذين سمعوا من النبيّ ﷺ أثناء الكفر، لكنّهم عندما أدّوه كان ذلك بعد إسلامهم على أنّ الإسلام يشترط عند أداء الرّواية لا عند تحمّلها. وانظر: الكفاية 135.

4- الإسراء: 36.

وسلامته؛ فيشمل التّأكّد من صحّة النّقل وجوبا متى تطابق لأصل النّصّ الصّادر عن صاحبه ومخرجه.

تجنّب نقل الأكاذيب: تورّعا واحتياطا

وذاك أصل تابع يُرشد إلى مدى الاحتياط الواجب الذي دأب أهل الحديث على ترسيخه عمليّا عند ممارستهم للحديث والرّواية، وقد دلّت عليه أيضا الآية السّابقة في قوله -ﷻ-: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾[1]، بل وقوله ﷺ: « من حدّث عنّي بحديث يرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين »[2].

ولا مناص من هذا التّحذير من مسؤوليّة الرّواية، حيث أوجب على كلّ من سمع الحديث النّبوي أن يتريّث قليلا، ولا يرويه حتّى يثبت، ويأخذ بالاحتياط – وما منهج الإمام مالك في الموطّأ والبخاري ومسلم في الصّحيحين وغيرهم من جهابذة الأمّة في علم الحديث والرّواية بخاف عند أهل العلم –.

التّحرّي: التّحقيق والتّعاهد

كما أوجب الله تعالى التّثبّت والاستيثاق والنّقد حين عمد إلى الشّكّ في إخبار الفاسق مع تبيّن في حاله، أو تتبّع صحّة حديثه من طريق أخرى؛ فقال تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾[3].

ويشرح الحافظ ابن كثير هذه الآية بأنّ الله تعالى « يأمر بالتّثبّت في خبر الفاسق ليحتاط له»[4]، ولأنّ الله تعالى قال: ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته**

1- الإسراء: 36.
2- ذكره مسلم في المقدّمة 9.
3- الحجرات: 06.
4- تفسير ابن كثير 350/7.

OуЭ ЖКÆЄ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э г OуЖ е Ѿ OуЭ OуЖЎ к е О к

لاتّبعتم الشّيطان إلاّ قليلا﴾[1]، قال ابن كثير: « وقوله: ﴿**وإذا ...** ﴾ الآية، إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحقيقها، فيخبر بها ويفتيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحّة »[2]، فهذه دعوة صريحة إلى نقد ما يُسمع، والتّريّث في فهمه، وإلى تمييز الصّحيح منه لقبوله، أو حمله ونشره.

و عليه، فقد نهى علماء الحديث –تبعا للمنهاج القرآني– عن قبول خبر النّاس بمجرّد فسقهم، إلاّ إذا أقلع أحدهم عن ذنبه وتاب توبة نصوحا، تُبدّل ما كان من حاله إلى حال التّقى؛ وفي ذلك يقول الحافظ ابن الصّلاح[3]: « التّائب من الفسق نقبل توبته » لقوله تعالى: ﴿**إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات وكـ ـورا رحيما**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصـ**﴾[5] »، وآيات أخرى كثيرة في هذا المعنى، وهو مـ ـح البخاري –رحمهم الله تعالى–.

وية ـ صاحب الحديث أن يكون ثبت الأخـ ـ ويتعاهد ذلك، والأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿**يا جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾[6]، وقال القاضي عياض: «... ويكون أخذ العلم عن أهل الثّقة لما ينقلون والمعرفة به والضّبط له، فإن وجد من اجتمعت فيه هذه الخصال من الدّين والعلم والإتقان، فقد ظفرت يداه بحاجته، وإن لم يكن إلاّ من فيه بعضها فليجتنب من لا دين له، فإنّ أخذه عنه عناء؛ إذ لا يوثق بما عنده، ولا يحتجّ به لنفسه ولا غيره، والأصل فيه قول الله

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- النّساء: 83.
2- تفسير ابن كثير 321/2.
3- في كتابه علوم الحديث ص104.
4- الفرقان: 70.
5- آل عمران: 89.
6- الحجرات: 06.

تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا ... ﴾[1] الآية، واشتراطه تعالى: **الرّضا والعدالة في الشّهداء**»[2].

الرّواية لما عرفت صحّة مخارجه

و من الصّنيع المشهور في منهج أئمّة الحديث أيضا، تشنيعهم على رواة الأحاديث الضّعيفة والمنكرة؛ حيث تعامل علماء الحديث بكلّ صرامة وحزم ونشاط مع ما قذف به هؤلاء القوم من الرّواة إلى العوامّ ونشروه، إذ استقبحوا منهم أخبارهم المنكرة بالأسانيد الضّعاف المجهولة المستنكرة من الحديث برواية غير المرضيّين ممّن ذمّ الرّواية عنهم أئمّة الحديث المعتمدين.

و هذا الإمام مسلم بن الحجّاج النّيسابوري الذي يقول: «اعلم أنّ الواجب على كلّ أحد عرف التّمييز بين صحيح الرّوايات وسقيمها وثقات النّاقلين لها من المتّهمين، أن لا يروي منها إلاّ ما عرف صحّة مخارجه، والسّتارة في ناقليه، وأن يتّقي منها ما كان منها عن أهل التّهم والمعاندين من أهل البدع، والدّليل على أنّ الذي قلنا من هذا هو اللاّزم دون ما خالفه، قول الله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا ...** ﴾[3] الآية، وقال عزّ وجلّ: ﴿**ممّن ترضون من الشّهداء** ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿**وأشهدوا ذوي عدل منكم**﴾[5]، فدلّ بما ذكرنا من هذه الآي أنّ خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأنّ شهادة غير العدل مردودة، والخبر وإن فارق معناه معنى الشّهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في معظم معانيها، إذ خبر الفاسق غير مقبول، ودلّت السّنّة على نفي رواية المنكر من الأخبار

1- الحجرات: 06.
2- الإلماع إلى معرفة أصول الرّواية ص58.
3- الحجرات: 06.
4- البقرة: 282.
5- الطّلاق: 02.

OуЭ ЖКÆЄ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э ґ OуЖ•е Ѿ OуЭ OуЖЎ к •е О к

كنحو دلالة القرآن على نفي خبر الفاسق، وهو الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ: من حدّث عنّي بحديث يرى أنّه كذب فهو أحد الكذّابين »[1] اهـ.

عدالة الرّاوي: دينا وسلوكا

و هذا أصل مقرّر في الشّريعة، ويراد به الشّخص المرضي قوله وحكمه، وهو الشّرط الأساس في راوي الحديث؛ لأنّه يشهد على الله تعالى وعلى رسوله بما ينقل، يقول ابن الأثير: «التّعديل وصف متى التحق بالرّاوي والشّاهد اعتبر قولهما وأخذ به »[2].

فقد استعمل القرآن كلمة " العدل " بهذا المعنى؛ إذ قال الله تعالى: ﴿**وأشهدوا ذوَي عدل منكم** ﴾[3]، وفسّرت الآية بقوله تعالى: ﴿**ممّن ترضون من الشّهداء** ﴾[4]، قال الإمام الطّبري في تفسيره[5]: « يعني من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم ». وقال الإمام البخاري حيث عقد في صحيحه[6]: بابا للشّهداء ذوي عدل منكم ﴾ وقوله: ﴿ممّن ترضون من

و بهذا المعنى كتب عبد الرّحمن بن عوف: « أنه هشام بن عروة، حيث قال: « حدّثني

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- مقدّمة صحيح مسلم ص9، والتّرمذي في كتاب العلم وصحّحه 36/5، وأخرجه ابن ماجه 14-15 عن عليّ بن أبي طالب، وعن المغيرة بن شعبة، وعن سمرة بن جندب.
2- ابن الأثير: جامع الأصول 126/1.
3- الطّلاق: 02.
4- البقرة: 282.
5- تفسير الطّبري 22/6.
6- انظر: فتح الباري لابن حجر: 251/5 باب 5
7- الكفاية 108، والسّنن الكبرى 124/10.

العدل الرّضا الأمين على ما تغيب عليه يحيى بن سعيد »[1]، ومنه انتشرت لـــدى السّـلف القاعدة المشهورة: « إنّما هذه الأحاديث دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم »[2].

و قد تتحقّق العدالة عند أهل الحديث بشروط؛ منها: الإسلام والتّقوى، بدليل الآيـــات السّابقة؛ حيث الرّضا لا يكون من دون الإسلام، كما لا يحصل العدل والرّضـــا مـــن دون التّقوى، فكانت رواية الحديث أولى بالاشتراط في راويه؛ لأنّه يشهد على الله ورسوله.

الصّحابي ومطلق العدالة

عُلم أن الصّحابي من الصّحبة، وللصّحبة معنى المعاشرة والملازمة. وقد قال تعـــالى: ﴿**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا**﴾[3]. ولقد اتّبع علماء الحديث مسلك القرآن في اعتمادهم لمطلق العدالة في الصّحابة ﷺ، وهو قول الجمهور من أمثال الأئمّة الأربعة والمحدّثين كافّـــة؛ كالبخاري ومسلم وأبي داود والنّسائي والتّرمذي وابن معين وابن المديني وأبي زرعـــة وأبي حاتم الرّازيّين وابن حبّان وابن تيميه ...، وعلى وجه الاختصار: علماء أهل السّنّة والجماعة كافّة، وعليه سلف الأمّة وجماهير الخلف من المحقّقين دون الطّوائف من المعتزلة والخـــوارج وأهل الرّفض، ممّن خالف الجمهور وليست لهم حجّة ثابتة.

و بغضّ النّظر عن الأحاديث الكثيرة والنّصوص الحديثيّة للنبيّ ﷺ في معنى عدالة الصّحابـة ﷺ، نجد القرآن الكريم مليئا بالآيات المثبتة لعدالتهم، وهو ما بيّنه قول الخطيب البغـــدادي في الكفاية[4]، قال: « وكلّ حديث اتّصل إسناده بين من رواه وبين النبيّ ﷺ لم يلزم العمل بـه إلاّ بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النّظر في أحوالهم؛ سوى الصّحابي الذي رفعه إلى رســـول اللهﷺ؛ لأنّ عدالة الصّحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهـــم

1- الكفاية 108.

2- يرد هذا النّصّ عن عدد من التّابعين، وقد رواه مسلم في المقدّمة عن ابن سيرين بلفظ: « إنّ هذ العلم ديـــن، فانظروا عمّن تأخذون دينكم »، المقدّمة: ص14.كما رواه ابن عبد البرّ في روايتين من قول مالك بن أنس. انظر: التّمهيد 67/1.

3 – التوبة 40

4- الكفاية 63-64.

OуЭ ЖКÆЄ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э ґ OуЖ•е Ѿ OуЭ OуЖЎ к •е О к

في نصّ القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس**﴾[1]، وقوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمّة وسطا لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيدا**﴾[2]، وهذا اللّفظ وإن كان عامّا، فالمراد به الخاصّ، وقيل هو وارد في الصّحابة دون غيرهم، وقوله: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشّجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السّكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ...**﴾[3] »، ثمّ ساق الآيات من [التّوبة: 100] و[الواقعة: 11] و[الأنفال: 64] و[الحشر 09]، وآيات يكثر إيرادها ويطول تعدادها.

و منه قوله الآخر: « والأخبار في هذا المعنى تتّسع، وكلّها مطابقة لما ورد في نصّ القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصّحابة والقطع على تعديلهم ... فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم ... إلى تعديل أحد من الخلق له ... وهذا [illegible] للعلماء ومن يعتدّ بقوله من الفقهاء »[4].

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مصطلح التّابعي: سياق ت[illegible]

التّابعي: اس[illegible]بة في الزّمن، أي جاءو[illegible]به اخذوا من الرّسول ﷺ وتحمّلوا عنه، وهم تح[illegible]م او تبعوهم في الإسلام والعمل بشرائعه والقدوة بهم في أعمالهم[illegible]

فالتّابعي هو كلّ مسلم يسمع صحابيّا أو يلقاه وإن لم توجد الصّحبة العرفيّة، وعليه يدلّ عمل أئمّة الحديث، ولعلّهم استمدّوا هذه التّسمية من قوله تعالى: ﴿**و السّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾[5].

1- آل عمران: 110.
2 - البقرة: 143.
3- الفتح: 18.
4- الكفاية 66-67 مع اختصار.
5- التّوبة: 100.

العزيز: إخبار متعدّد

العزيز هو الحديث الذي رواه اثنان ولو في طبقة واحدة بشرط أن لا يقلّ رواته عن اثنين في جميع طبقات السّند. والظّاهر أنّ سبب التّسمية بالعزيز يعود إلى التّعريف اللّغوي المؤيّد بالآية من سورة "يس" وهي قوله تعالى: ﴿فعزّزنا بثالث﴾[1]، أي: قوّينا، مأخوذ من العزّة بمعنى القوّة؛ يقال: عزّ يعزّ بكسر العين: أي قوي واشتدّ، فيتّضح أنّه سمّي عزيزا عند أهل الحديث لأحد أمرين:

1-إمّا لعزّته، بمعنى ندرته، وذلك لقلّة وجود هذا النّوع؛ ففي اللّغة: " عزّ الشّيء يعزّ " من باب ضرب؛ بمعنى قلّ، فيكون بمعنى النّادر القليل.

2-و إمّا لعزّته أي قوّته، وذلك لتقويته بمجيئه من طريق آخر[2].

مصطلح الإسناد: خصّيصة وأثارة

جاء على لسان الأئمّة كلمات كثيرة في تبيين مقام الإسناد وأهمّيته البارزة وفوائده ومزاياه ولزوم العناية به، وأنّه من خصائص علوم الإسلام، فالإسناد في أصله خصّيصة فاضلة لأمّة الإسلام ليست لغيرها من الأمم، يقول ابن حزم[3]: « نقل الثّقة عن الثّقة يبلغ به النّبيّ ﷺ مع الاتّصال خصّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأمّا مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمّد ﷺ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا، وإنّما يبلغون إلى شمعون ونحوه ... »، وقال: «وأمّا النّصارى فليس عندهم من صفة هذا النّقل إلاّ تحريم الطّلاق فقط، وأمّا النّقل باللطّريق المشتملة على كذّاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنّصارى ... »، وقال أيضا: «وأمّا أقوال الصّحابة والتّابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبيّ أصلا، ولا إلى تابع

1- سورة يس: 14.
2- انظر: شرح نخبة الفكر 15.
3- عن قواعد التّحديث للقاسمي ص201.

OуЭ ЖКÆÇ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э ґ OуЖ•е Ѿ OуЭ OуЖЎ к •е О к

له، ولا يمكن للنّصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص ». ويروي الحاكم وغيره في الإسناد عن مطر الورّاق في قوله تعالى: ﴿ أو أثارة من علم ﴾[1]، قال: « إسناد الحديث»[2].

ألقاب وألفاظ تدور على ألسنة المحدّثين:

كالحديث والتّعبير عن نقله

فالحديث لقوله تعالى: ﴿وإذ أسرّ النّبيء إلى بعض أزواجه حديثا ﴾[3]، وقوله: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾[4]، وقوله: ﴿وعلّمتني من تأويل الأحاديث ﴾[5] وقوله: ﴿فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث﴾[6].

و الحديث: اسم من التّحديث، وهو الإخبار، ثمّ سمّي به قول أ[illegible] ب إلى النّبيّ ﷺ. والحديث نقيض القديم ؛كأنّه لوحظ فيه [illegible]

و في العبارة عن النّقا[illegible]

فقد جاء في [illegible] يرجع إليه عن سعي[illegible] ابي قال: سمعت مالك بن أنس يقول في [illegible] ر لك ولقومك ﴾[7]؛ قال: قول الرّجل: حدّثني أبي عن جدّي »[8].

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- الأحقاف: 04.
2- عن قواعد التّحديث للقاسمي ص201.
3- التّحريم: 03.
4- الطّور: 34.
5- يوسف: 101.
6- المؤمنون: 44.
7- الزّخرف: 44.
8- أخرجه ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم وفضله 180/2.

كما احتجّ بعضهم بقوله: ﴿**الله نزّل أحسن الحديث**﴾[1]، وبقوله: ﴿**ومن أصدق من الله حديثا**﴾[2]، وهذا لما أطلق فيه لفظ " الحديث "، وأنّ الله تعالى قال: ﴿**يومئذ تحدّث أخبارها**﴾[3]، وقال: ﴿**قد نبّأنا الله من أخباركم**﴾[4]. يقول الإمام الذّهبي[5]: « أنبأنا وأنا - وهي اختصار للفظ أخبرنا- فصادقة على ما سمع من لفظ الشّيخ أو قرأه هو أو قرأه آخر على الشّيخ، وهو سمع، لكن غلبت في عرف المتأخّرين على الإجازة -أي لفظ أنبأ وأنا- وقوله تعالى: ﴿**قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير**﴾[6]؛ دلّ على التّساوي، فالحديث والخبر والنّبأ مترادفان، ولقوله تعالى: ﴿**نبّئوني بعلم إن كنتم صادقين**﴾[7] ».

أمّا التّخريج أو الإخراج

فمعناه الإبراز والإظهار، لقوله تعالى: ﴿**كزرع أخرج شطأه**﴾[8]، أي كمثل زرع أبرز وأظهر خراجه، ومنه قول المحدّثين عن الحديث: " أخرجه البخاري" مثلا: أي أبرزه للنّاس وأظهره لهم؛ ببيان مخرجه وذلك بذكر رجال إسناده الذين خرج الحديث من طريقهم، وكذلك " خرّجه البخاري " بمعنى أخرجه – أي ذكْرُ مَخْرجه وإظهار موضع خروجه بذكر رواة إسناده[9]..

1- الزّمر: 23.
2- النّساء: 87.
3- الزّلزلة: 04.
4- التّوبة: 94.
5- في الموقظة ص56، وانظر: الإلماع ص124، 130.
6- التّحريم: 04.
7- الأنعام: 143.
8- الفتح: 29.
9- انظر: أصول التّخريج ودراسة الأسانيد لمحمود الطّحّان ص9-10، وتاج العروس مادّة (خرج) 2/38-42، ولسان العرب 2/249-254.

OуЭ ЖКÆÇ О Ѿ OуЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э ґ OуЖ е Ѿ OуЭ OуЖЎ к е О к

المنكر...

و يستعمل نقّاد الحديث لفظة " المنكر " على معنى أنّ الحديث غير معروف عن مصدره؛ إمّا بتفرّد راويه مع المخالفة، وإمّا بتفرّده من دون مخالفة.

و المنكر في اللّغة بمعنى مجهول غير معروف، والنكرة ضدّ المعرفة. وقد جاء إطلاقه على هذا المعنى في مواضع من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿**وجاء إخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون**﴾[1]، وقوله: ﴿**فلمّا جاء آل لوط المرسلون قال إنّكم قوم منكرون**﴾[2]. وقوله: ﴿**إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون**﴾[3]، وقوله: ﴿**يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها**﴾[4].

التّجريح والتّعديل

أمّا وهذا المجال، فلا يخفى عا ديث هو تعديل الرّوا ن بالنّعوت الحميدة والأو ن حيرهم فيما يروونه عن النّبيّ ﷺ ، والتّجري ي يحصّ ما علق بالرّجال الرّواة من الشّوائب والعيوب، أوصفات ن خلال خلل في الاتّزان أو الضّبط، فهو عكس التّعديل بالمعنى السّابق.

و المرجى في هذا المجال هو سمعة الدّين والشّرع وتنقية للرّواية، ولذا نهض أهل هذا الاختصاص بغربلة الرّواة وحملة الحديث استنادا لقوله تعالى: ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾[5]، وقد التزم القوم به؛ فنصبوا الموازين الصّحيحة الدّقيقة، ووزنوا بالقسط،

1- يوسف: 58.
2- الحجر: 62.
3- الذّاريات: 25.
4- النّحل: 83.
5- الرّحمن: 09.

ووضعوا كلاً في موضعه، وكلّ ذي وزن وزنه، لكنّهم أجمعوا على أنّه لا يجوز التّجاوز عن الحدّ المطلوب، وقالوا: إنّ الإفراط في الجرح من أقبح القبائح التي حرّمها الشّارع، قال الله تعالى: ﴿**أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميّتا فكرهتموه**﴾[1].

و إذا بحثنا عن نشأة النّقد أو الفحص، فإنّنا نجد أنّ القرآن الكريم كان منهاجًا في النقد للأخبار؛ حيث أشار إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا ...**﴾[2]، فالآية الكريمة تأمرنا بالتثبّت في قبول الأخبار، وهو ما قام به المحدّثون، ولا شكّ أنّ التّثبّت والفحص أحد مراحل النّقد الموضوعي والعلمي.

و إذا كان هناك من تعليق على هذه الآية الكريمة، فهو أنّه قد اتّضح أنّ القرآن الكريم أشار بأسلوبه الخاصّ إلى مرحلة من مراحل النّقد وهو الفحص، وقد استعمل أيضا الخطوة الثّانية، وهي إصدار الحكم. والدّليل على ذلك وجود بعض ألفاظ التّعديل وألفاظ التّجريح في القرآن الكريم أيضا، منها على سبيل الإشارة للتّعديل قوله تعالى: ﴿**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصّادقون**﴾[3]، وفي التّجريح قوله تعالى: ﴿**والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون**﴾[4] فوصف المنافقين بأنّهم " كاذبون " ذمّ وتجريح لهم، ووصف الفقراء المهاجرين بأنّهم "هم الصّادقون " تزكية وتعديل لهم من الله تعالى.

ومن اللّطائف، إشارة نقّاد الرّجال - وبأسلوب القرآن الكريم - إلى الجرح وعدم التّزكية في قولهم المقتبس منه في حيّز الرّاوي المجروح عندهم بـ " الله المستعان"، والشّواهد كثيرة ومنتشرة في الميزان للذّهبي ولسان الميزان وتهذيب التّهذيب لابن حجر وغيرهما.

1- الحجرات: 12.
2- الحجرات: 06.
3- الحشر: 08.
4- المنافقون: 01.

OУЭ ЖКÆЄ О Ѿ OУЭ к Ā ЖЎ Ѿ Э ґ OУЖ•е Ѿ OУЭ OУЖЎ к е О к

و يشهد لاستعمال هذه العبارة في سياق التّجريح أو عدم التّزكية، ما جاء في القرآن الكريم في سورة يوسف من قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام حين أخبره أولاده بأنّ يوسف أكله الذّئب، قال: ﴿ **بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾[1]، وما جاء في آخر سورة الأنبياء ﴿ **قال ربّ احكم بالحقّ وربّنا الرّحمن المستعان على ما تصفون** ﴾[2]. كما دلّل بذلك الشّيخ المرحوم عبد الفتّاح أبو غدّة في تعليقه الحافل على كتاب الرّفع والتّكميل في الجرح والتّعديل للإمام اللّكنوي[3]، ثمّ ثنى عليه بما يشهد لاستعمال هذه العبارة من السّنّة بالمعنى المذكور بما جاء في حديث الإفك الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه في " باب تعديل النّساء بعضهنّ بعضا " ... ذات[4]، وفي باب ﴿لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلّ ... ور، وفيه قول السّيّدة عائشة –رضي الله ... ما أجد لي ولكم مثلا إلاّ ... تصفون﴾»[5].

و ... ى –المشار إليه في عبارة " والله المستعا ... ون خبرا كاذبا، أو راويا دجّالا، أو مدّعيا الصّحبة لر ... عمير في أزمان متأخّرة، يتبعون كلامهم عليه أو يختمونه بقولهم: "والله المستعا ... أو " فالله المستعان "، إيذانا بكذبه، أو كذب ما ذُكر قبل هذا الختام، أو بأنّه شبيه بالكذب »[6].

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- يوسف: 18.
2- الأنبياء: 112.
3- انظر: ص175 حاشية.
4 - في باب 15، أنظر فتح الباري 272/5
5- من كتاب التفسير باب 6 راجع فتح الباري 454/8.
6- عن الرّفع والتّكميل حاشية ص175 وما بعدها.

ثمّ إليك من الشّواهد في مظّان كتب التّراجم والرّجال ما جاء في تهذيب التّهذيب لابن حجر[1] (ترجمة مقاتل بن سليمان صاحب التّفسير): « قال وكيع: أردنا أن نرحل إلى مقاتل فقدم علينا، فأتيناه فوجدناه كذّابا، فلم نكتب عنه، وقال: سمعت من مقاتل، ولو كان أهلا أن يُروى عنه لروينا عنه، سمعت من مقاتل، فالله المستعان! ».

فقد جاء قوله: " فالله المستعان " معادلا لقوله في البداية: " كذّاب " أو لقوله من بعد: "لو كان أهلا ... " والتي معناها أنّه هالك تالف[2].

و يقول الذّهبي في ترجمة إبراهيم بن عثمان الكاشغري من ميزانه: « مات سنة 645، حدّثونا عنه، وانفرد في زمانه بالغلوّ، فيه تشيّع، وفي دينه رقّة، والله المستعان »[3].

و في ترجمة محمّد بن عيسى القرشي، قال صالح بن محمّد: « قال لي محمود ابن بنت محمّد بن عيسى: هو –أي الحديث المتكلّم فيه– في كتاب جدّي: عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي ذئب، قال صالح: –و إسماعيل كان يضع الحديث– فحدّثت محمّد بن يحيى الذّهلي بهذه القصّة، فقال: الله المستعان! »[4].

ثمّ من قولهم في الرّاوي الضّعيف: "ليس بشيء" قال منه الحافظ ابن حجر في الفتح في باب ﴿ قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله ﴾: «والشّيء يساوي الموجود لغة وعرفا، وأمّا قولهم: " فلان ليس بشيء " فهو على طريق المجاز والمبالغة في الذّمّ، فلذلك وصف بصفة المعدوم »[5].

1- تهذيب التّهذيب 283/10.
2- عن المرحوم أبو غدّة في تعليقه على الرّفع والتّكميل ص174.
3- ميزان الاعتدال في نقد الرّجال 48/1.
4- ميزان الاعتدال في نقد الرّجال 678/3.
5- عن الرّفع والتّكميل ص142، وانظر فتح الباري 340/13-341.

OуЭ ЖКÆЄ О Ѿ OуЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г OуЖ•е Ѿ OуЭ OуЖЎ к е О к

لكن من لطيف التّوفيق في هذا التّعبير -ليس بشيء- أنّه جاء في لسان النّبـــوّة للجـــرح والتّضعيف؛ فقد جاء مسندا إلى عائشة -رضي الله عنها- قالت: « سأل أناس رســـول الله ﷺ عن الكهّان، فقال لهم رسول الله ﷺ: ليسوا بشيء »[1].

و كما رُصدت اقتباسات أخرى من ألفاظ القرآن الكريم للتّوهين في ميدان تجريح الرّواة؛ كناية عن الكذب والوضع في الحديث، كان قد جمعها الأستاذ الدّكتور سعدي الهـــاشمي في كتابه المتبع " شرح ألفاظ التّجريح النّادرة ... "[2] كمثل قولهم: فلان " هو عصا موســـى تلقف ما يأفكون "، قال: وهو لفظ توهين انفرد به مُطَيَّن أبو جعفر محمّـــد بـــ عبـــد الله الحضرمي (ت 297هـــ) في تجريح محمّد بن عثمان بن أبي شيبة ... عصـــا موسى يتلقف ما يأفكون »[3]، فهو لفظ تجريح؛ ... وقد أخذ هذا المعنى من القرآن الكـ ... لقى **موسى عصاه فإذا** ... عاها بوحـــي مـــن الله ﷻ ... صمه وتجمعه من كلّ بقعة وتبتلعـــه، فلم تد ... جمع ما صنعه السّحرة من كذب وباطل[6] وتضليـــل، كما وصـ ... ث بقوله في سورة " طه " (الآيات من 66 إلى 69)، فكذلك محمّـــد بن عثمان بن أبي شيبة، كان يتلقف – على قول النّقّاد – كلّ حديث بـــاطل وكـــذب، واللّقف: تناول الشّيء يُرمى به إليك، ورجل لَقْف ثَقْف، أي: سريع الأخذ لما يُرمى إليـــه باليد...[7]

1- عن المرحوم أبو غدّة في تعليقه على الرّفع والتّكميل ص1

2 -راجع: ص83 إلى 90.

3- انظر: سير أعلام النّبلاء 22/14.

4- الآية من سورة الشّعراء: 45.

5- كما ورد ذلك عن ابن كثير في تفسيره 647/2.

6- وهو المعنى اللّغوي الوارد في لسان العرب 390/10.

7-راجع هذه المعاني في لسان العرب 320/9، وتاج العروس 248/6.

و منه أيضا قولهم: " حمّالة الحطب "، حيث استعمل هذا اللّفظ يحيى بن معين في تجريح النّضر بن منصور الباهلي أبي عبد الرّحمن الكوفي؛ قال عثمان بن سعيد الدّارمي: « قلت – أي ليحيى بن معين –: النّضر بن منصور العنزي، تعرفه؟ يروي عنه ابن أبي معشر، عن أبي الجنوب عن عليّ ﷺ، من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء حمّالة الحطب »[1]. وبيّن ابن أبي حاتم الرّازي في كتاب الجرح والتعديل مراد يحيى بن معين في قوله هذا –حمّالة الحطب–، فقال بعد روايته الخبر: « يعني أنّهم ضعفاء »[2].

و يرجع المعنى من " حمّالة الحطب " إلى أمّ جميل بنت حرب؛ امرأة أبي لهب وأخت أبي سفيان التي ذكرها الله تعالى في سورة " المسد"، كما يُضرب به المثل في الخسران؛ فيُقال: " أخسر من حمّالة الحطب "، أمّا مراد ابن معين بهذا التّعبير القرآني فواضح بيّن من أنّه في تضعيف الرّاوي المنعوت بهذا النّعت.اهـ . وهو كذلك حيث رصد النقاد لابن معين تجريحه لهذا النظر بأقوال أخرى منها: "منكر الحديث "[3].

العرض: وهو القراءة على الشّيخ حفظا أو من كتابه

و كانت الرّواية بها سائغة عند أهل العلم والمحدّثين مع اشتراطهم أن يكون المحدّث حافظا لما يقرأ عليه من مرويّاته أو يقابل بما يقرأ عليه أصله، ويجوز أن يكون الأصل بيد أحد التّلاميذ، إلاّ أنّه دون السّماع من لفظ الشّيخ.

وروى الحاكم في " معرفة علوم الحديث"[4] من طريق مطرّف بن عبد الله قال: «صحبت مالكا سبع عشرة سنة، فما رأيته قرأ الموطّأ على أحد، وسمعته يأبى أشدّ الإباء على من يقول: "لا يجزيه إلاّ السّماع"، ويقول: كيف لا يجزيك هذا في الحديث ويجزيك في القرآن

1- انظر: تاريخ عثمان الدّارمي عن يحي بن معين ص220، 221 ترجمة رقم 828 وكتاب المجروحين لابن حبّان 50/3، وتهذيب التّهذيب 445/10، والجرح والتّعديل للرّازي 479/8.

2- الجرح والتعديل 479/8

3- حكاه السّاجي في الضعفاء عن ابن معين، انظر تهذيب التهذيب، 10 / 445

4-معرفة علوم الحديث للحاكم 259، وأخرج النّصّ أيضا: الخطيب البغدادي في الكفاية 306 وما بعدها.

OyØ ЖKÆG O Ѿ OyØ к Ă ЖK Ѿ Ѿ Ø r OyЖ e Ѿ OyØ OyЖK к e O i

والقرآن أعظم؟!». وهذا احتجاج بجواز المحدّثين لطريق التّحمّل للحديث بـــالقراءة علـــى الشّيخ أحاديثه؛ فقد انتهجوا هذا الوجه من أنواع التّحمّل الثّمانية، وعملوا بـــــه في أخـــذ الحديث وتبليغه، وشاع عندهم في القرن الثّاني شيوعا من منذ عهد الأئمة: الزهري، مالك بن أنس والشّافعي، وبيّنوا معهودهم به حتّى فضّله مالك من بـــين أضـــرب السّـــماع الأولى المختلفة، وكلّ ذلك بالاحتجاج في جواز القراءة بعرض القرآن الكريم قياسا[1].

الفسق: سلب للعدالة

أصل الفسق: الخروج عن الاستقامة، والجور، وبه سمّي العاصي فاسقا.

و لقد دلّ القرآن على نفي خبر الفاسق، وفي الشّرع: العصيان [illegible]، والخروج عن طريق الحقّ وقد يكون الفسوق ش[illegible]

و قال ابن حبّان: « من المج[illegible]ـــه؛ لأنّ الفاسق لا[illegible] عدالة لا يُعتمـــد على [illegible]، إلاّ أن يظهر عليه ضدّ الجـــرح، حتّى يكر[illegible] حينئذ يُحتجّ بخبره، فأمّا قبل ظهور ذلك عنه فلا»[2].

و يقول [illegible] مقدمة صحيحه: « إنّ خبر الفاسق غير مقبول، وإنّ شهادة غير العـدل مردودة، والخبر وإنّ فارق معناه معنى الشّهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعـــان في أعظـــم معانيها؛ إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم، كما أنّ شهادته مـــردودة عنـــد جميعهم »[3].

1- راجع تفاصيل هذه المسألة في رسالتنا: مالك بن أنس وآراؤه الحديثيّة –رواية ودراية– ص119-125.
2- كتاب المجروحين 79/1. وراجع مقدّمة ابن الصّلاح 94، والكفاية 135 وما بعدها، وتوضيح الأفكـار 118-117/2.
3- مقدّمة صحيح مسلم 09.

الإرسال والمرسل من الحديث:[1] إطلاق وإهمال

يُجمع " المُرسَل " على مراسيل ومراسل، ويمكن رصد معاني هـذا اللّفـظ بـالنّظر إلى اشتقاقاته المختلفة؛ حيث وردت مادّة " رسل " على عدّة معان؛ منها:

1-الإطلاق والإهمال:

و هذا المعنى وارد في مثل عبارة " أرسل الشّيء "، كقوله تعالى: ﴿ **ألم تر أنّـا أرسـلنا الشّياطين على الكافرين تؤزّهم أزّا** ﴾[2]، قال الزّجّاج: « في قوله: " أرسـلنا " وجـهان؛ أحدهما: أنّا خلّينا الشّياطين وإيّاهم فلم نعصمهم من القبول منهم »، قال: « والوجه الثّـاني -و هو المختار-: أنّهم أرسلوا عليهم، وقُيّضوا لهم بكفرهم كما قال تعالى: ﴿**ومن يعشُ عن ذكر الرّحمن نُقيّض له شيطانا**﴾[3]، ومعنى الإرسال هنا: التّسليط »[4].

و هذا الإطلاق وعدم التّقييد، والإهمال، يمكننا أن نلمسه في " الحديث المرسل "؛ فكـأنّ من أرسله أطلق الإسناد، ولم يقيّده براو معروف.

2-القطيع من كلّ شيء، قطيع بعد قطيع:

و هذا ما يفيده لفظ "الرّسَل"؛ بفتح الرّاء والسّين، جمعه أرسال.

و الرّسل: قطيع من الإبل قدر عشر، يرسل بعد قطيع.

و أرسلوا إبلهم أرسالا، أي: قطعا.

و جاءوا رِسْلَة رِسْلَة، أي: جماعة جماعة. وإذا أورد الرّجل إبلهَ متقطّعة، قيل: أوردهـا أرسالا، فأمّا إذا أوردها جماعة، قيل: أوردها عِرَاكا[5]. وهذا الورود بالكيفيّة المذكورة، يـدلّ

---

1 - في المرسل والمراسيل بحوث عديدة، وللدّكتور مكّي اقلاتية بحث طيّب في موضوع هذه المعاني؛ اعتمدنا عليه هنا، راجعها في كتابه: " المراسيل وموقف الأئمّة منها "

2- مريم 83

3- الزّخرف: 36.

4 -كما في لسان العرب لابن منظور: 285/11.

5- كما في لسان العرب: 281/11.

OyØ ЖKÆG O Ѿ OyØ к Ă ЖK Ѿ Ѿ Ø r OyЖ e Ѿ OyØ OyЖK к e O I

على عدم اتّصال الجماعتين بعضها ببعض؛ فكأنّه تُصوّر من هذا اللّفظ الانقطـــاع، فقيـــل للحديث الذي قُطع إسناده وبقي غير متّصل: "مرسل"؛ أي أنّ الرّاوي لم يلق المروي عنـــه ولا لحقه أ هـــ.

وصفوة القول، وبعد هذه اللمحات القرآنية والاستلهام من مصادر هذا البحث أن الجلّ الدائر من المفاهيم في مباحث هذا الفن ومصطلحاته على ألسنة أربابه هناك ما يؤصلها مـــن لغة القرآن وآي الكتاب المجيد.

وهذا ما يلمسه المتتبع لثنايا الموضوع الذي نأمل أن يكون إلتفاتة طيبة و نـ خـــير في ميدان التأصيل القرآني للموضوعات الإسلامية والشرعية.

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية